بُلدان
الخلافة الشرقيّة

يتناول صفة العراق والجزيرة وايران
وأقاليم آسية الوسطى
منذ الفتح الإسلامي حتى أيّام تيمور

تأليف
كي لسترنج
مؤلف كتاب «فلسطين في عهد الاسلام»،
و«بغداد في عهد الخلافة العباسية» وغيرها

نقله إلى العربيّة
وأضاف إليه تعليقات بلدانية وتاريخيّة وأثريّة،
ووضع فهارسه

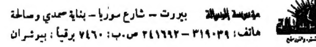
بشير فرنسيس
كوركيس عوّاد
عضو المجمع العلمي العراقي

مؤسسة الرسالة



الطبعة الثانية
١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م





مؤسسة الرسالة بيروت - شارع سوريا - بناية صمدي وصالحة
هاتف: ٣١٩٠٣٩ - ٢٤١٦٩٢ ص.ب: ٧٤٦٠ برقياً: بيوشران

الفصل التاسع

بلادُ الرُّوم

اى آسية الصغرى

بلاد الروم ـ الثغور من ملطية الى طرسوس ـ الدربان الكبيران فى جبال طوروس ـ طريق القسطنطينية المار بالابواب القليقية ـ طرابزون ـ حصارات القسطنطينية الثلاثة ـ غزوات المسلمين فى آسية الصغرى ـ نهب عمورية بأمر المعتصم ـ فتح السلاجقة آسية الصغرى ـ مملكة ارمينية الصغرى ـ الصليبيون ـ اجل مدن السلاجقة فى بلاد الروم ٠

كان المسلمون يسمون أقاليم الدولة البزنطية فى جملتها : بلاد الروم ٠ ولفظة الرومى أى الرومانى فى العصور الاسلامية الاولى كانت ترادف عندهم « النصرانى » سواء أكان من اليونان أم اللاتين ٠ وكانوا يعرفون البحر الموسط باسم بحر الروم أيضا ثم اختصر اسم « بلاد الروم » الى « الروم » فقط ٠ وصارت لفظة « الروم » بمرور الايام اسما لاقرب الاقاليم النصرانية من بلاد الاسلام ٠ ومن ثمة صار « الروم » اسما لآسية الصغرى عند العرب وهى البلاد العظيمة التى انتقلت نهائيا فى ختام المئة الخامسة (الحادية عشرة) الى ايدى المسلمين باستيلاء السلاجقة عليها ٠

ولقلة ما بأيدينا من مراجع عن ذلك الزمن لم يتوفر لدينا ـ يا أسفا ـ

من وثيق الأخبار ما يعتدّ به عن تاريخ آسية الصغرى وجغرافيتها التاريخية فى القرون الوسطى ، سواء فى عهدها النصرانى أم فى أيام المسلمين[١] . ولا غرابة فى قلة ما عرفه البلدانيون العرب القدماء عن هذه البلاد : فقد كانت فى أيامهم اقليما من أقاليم دولة الروم ، وبعد انتقال هذا الاقليم الى سلطان السلاجقة الترك لم يعن - يا للأسف - مصنفونا المسلمون بهذا الاقليم الاسلامى البعيد ، فلم يتـه الينا وصف دقيق له يشبه ما خلفوه عن غيره من الاقاليم . وأول وصف كامل لآسية الصغرى الاسلامية ، كتبه الحاج خليفة ، غير ان هذا لا يرقى الا الى مطلع المئة الحادية عشرة (السابعة عشرة) أى بعد أن مضى نحو مئتى سنة على دخول هذا الاقليم فى جملة أجزاء الدولة العثمانية[٢] .

كانت الحدود بين بلاد المسلمين والروم فى أيام بنى أمية وبنى العباس بل حتى قبل ان يقضى المغول القضاء المبرم على العباسيين بما ينيف على قرن ونصف قرن ، تتألف من سلسلتى جبال طوروس وطوروس الداخلة (انتي طوروس) Anti Taurus . وكان يعين هذه الحدود ويحميها خطّ طويل من القلاع (تعرف بالعربية بالثغور) يمتد من ملطية على الفرات الاعلى الى طرسوس بالقرب من ساحل البحر المتوسط . وكان الروم يحتلون هذه القلاع تارة والمسلمون تارة أخرى . فكان الفريقان فيها بين كرّ وفرّ . وينقسم خط القلاع هذا عادة الى مجموعتين : احداهما تحمى الجزيرة (وتسمى ثغور الجزيرة) وهى الشمالية الشرقية ، والثانية تحمى الشام (وتسمى ثغور الشام) وهى الجنوبية الغربية . وكان من ثغور الجزيرة : ملطية وزبطرة وحصن منصور وبهسنا والحدث ، وقد مرّ

(١) يحتوى كتاب الجغرافية التاريخية لآسية الصغرى Historical Geography of Asia Minor لمؤلفه البروفسور رمسى N. M. Ramsay (وسنشير اليه بحروف HGAM) على خلاصة رائعة لكل ما يعرف الآن عن هذا الموضوع . ولا غنى عنه البتة لمن يبتغى تفهم هذه المعضلة المعقدة تفهما صحيحا . والفضل فى كتابة هذا الفصل يعود الى هذا الكتاب أكثر من أى مرجع آخر مذكور فى الحواشى . ويحسن الرجوع أيضا الى مقالات البروفسور رمسى المفيدة فى المجلة الجغرافية (G.J.) لشهر ايلول ١٩٠٢ ص ٢٥٧ - وتشرين الاول ١٩٠٣ ص ٣٥٧ .

(٢) اما فى القسم الشرقى من بحر الروم فقد أجاد العرب فى معرفة جزيرتى قبرس ورودس . فان المسلمين غزوا الجزيرة الاولى منذ سنة ٢٨ (٦٤٨) بقيادة معاوية الذى صار خليفة فيما بعد . على انه لم يصل الينا وصف جغرافى لهاتين الجزيرتين . البلاذرى ١٥٣ و ٢٣٦ ؛ ياقوت ٢ : ٨٣٢ ؛ ٤ : ٢٦ .

وصفها فى الفصل السابق . ثم مرعش والهارونية والكنيسة وعين زربى . ومن الثغور التى تحمى الشام ، وكانت بالقرب من الساحل الشمالى لخليج اسكندرية (اسكندرونة) : المصّيصة وأذنة وطرطوس .

اما مرعش ، وسماها الروم مراسيون (Marasion) فيقال انها قامت فى موضع جرمانيقية . وقد جدد بناءها الخليفة معاوية فى المئة الاولى (السابعة) . وفى عهد أواخر خلفاء بنى أمية حصنها المسلمون وانتقلوا اليها وبنوا لهم فيها مسجدا جامعا . ثم حصّنها هرون الرشيد . وكان لها سوران وخندق وفى وسطها حصن عليه سور يعرف بالمروانى ، على ما جاء فى ياقوت . وانما سمي بذلك نسبة الى بانيه مروان الثانى آخر خلفاء بنى أمية . وفى سنة ٤٩٠ (١٠٩٧) استولى الصليبيون على مرعش بقيادة غودفرى دى بويون (Godfrey de Bouillon) ثم صارت مدينة ذات شأن من مدن مملكة ارمينية الصغرى (وسيأتى الكلام عليها) . ولبثت أغلب الوقت فى ايدى النصارى حتى سقوط هذه المملكة . وما زال ثغر عين زربى ، وعرفه الصليبيون باسم انازربس (Anazarbus)، قائما . وقد كان هرون الرشيد جدده وأحكم تحصينه فى سنة ١٨٠ (٧٩٦) . ووصف الاصطخرى عين زربى بقوله انها « بلد يشبه مدن الغور . بها نخيل وهى خصبة واسعة الثمار والزروع والمراعى » . وكان لها سور مكين ، كثيرة الخيرات جليلة الشأن فى المئة الرابعة (العاشرة) . وفى نحو منتصف هذه المئة انفق سيف الدولة الحمدانى على ما يقال ثلاثة آلاف ألف درهم (نحو ١٢٠٠٠٠ باون) حتى أعاد عمارتها . ثم استولى الروم عليها غير مرة ، وفى ختام المئة التالية استولى الصليبيون عليها وخرّبوها . ثم صارت جزءا من دولة ملك ارمينية الصغرى . ووصف أبو الفداء هذه المدينة بقوله : « بلد فى جبل ذات قلعة مستعلية عنها » . وهى على مسيرة يوم جنوب سيس . وزاد ابو الفداء على ذلك ان فى جنوبها نهر جيحان . وفى المئة الثامنة (الرابعة عشرة) « غيّر الناس اسمها وسموها ناورزا » .

وموضعا الهارونية والكنيسة ، لا يعرفان على وجه الصحة ، الا انهما تقعان فى الجبال بين مرعش وعين زربى . والهارونية ، وهى على مرحلة غرب مرعش ، وحصونها نسبت الى هرون الرشيد ، بناها سنة ١٨٣ (٧٩٩) . وكان هذا الثغر غربى

جبل اللكام فى بعض شعابه ، وجبل اللكام اسم اطلقه البلدانيون المسلمون على سلسلة جبال انتي طوروس ، والظاهر ان ابن حوقل زار الهارونية فقد قال فيها انها « فى غاية العمارة ، وقلعتها حصينة وقد خربها الروم » ففى سنة ٣٤٨ (٩٥٩) سبوا من أهلها الفا وخمسمئة مسلم ما بين امرأة ورجل وصبى ، على ما ذكر ياقوت ، ثم ان سيف الدولة الحمداني جدد عمارة الهارونية ، واستعادها النصارى ثانية ، وظلت بعد ذلك في يد ملك ارمينية الصغرى ، اما الكنيسة ، ويقال لها الكنيسة السوداء ، فهى حصن منيع قديم ، بناها الروم بحجارة سود على ما قال البلاذرى ، وزاد على ذلك ان هرون الرشيد « أمر ببنائها واعادتها الى ما كانت عليه وتحصينها ، وندب اليها المقاتلة » ، فيها منبر والظاهر انها كانت الى جنوب جيحان ، فذكر الاصطخرى انها « ثغر فى معزل من شط البحر » ، وقال ابو الفداء : « كان بينها وبين الهارونية اثنا عشر ميلا » ، وكانت فى أيامه من جملة بلاد ارمينية الصغرى ، حالها حال الهارونية ،

وأما الثغر الآخر فى هذه الجهات ، فهو المعروف عند العرب بالمثقّب ، وسمي بذلك على ما جاء في ياقوت « لانه في جبال كلها مثقبة ، فيه كوىً كبار » ، والظاهر ان موضعها الحقيقي غير معروف الا انها لا تبعد كثيرا عن الكنيسة فانها كانت عند لحف جبل اللكام على ساحل البحر قرب المصيصة ، وأول من بنى حصن المثقّب هشام الخليفة الاموي ، وقال ياقوت ان الذى استحدثه عمر الثانى « عمر بن عبد العزيز » وكان فيه على ما ذكر ابن حوقل مصحفه بخطه (أى بخط عمر بن عبد العزيز) أتقى خلفاء بنى أمية وأكثرهم ورعا ، وروى البلاذرى الى ذلك انه لما ورد المهندسون لبنائها ، حفروا أولا الخندق فى حصن المثقب فوجد فى خندقه حين حفر ، عظم ساق مفرط الطول فبعث به الى هشام لطرافته[٣] ،

اما المدن الثلاث : المصيصة (Mopsuestia) واذنة وطرسوس ، وكلها من بناء الروم ، فما زالت قائمة ، فالمصيصة على نهر جيحان (نهر بيرامس) فتحها عبدالله بن

---

(٣) الاصطخرى ٥٥ و ٦٣ ؛ ابن حوقل ١٠٨ و ١٢١ ؛ البلاذرى ١٦٦ و ١٧١ و ١٨٨ ؛ المسعودي ١ : ٣٦ ؛ ٨ : ٢٩٥ ؛ ياقوت ١ : ٩٢٧ ؛ ٣ : ٧٦١ ؛ ٤ : ٣١٤ و ٤٩٨ و ٩٤٥ ، أبو الفداء ٢٣٥ و ٢٥١ ،

الخليفة عبد الملك الاموي في المئة الاولى (السابعة) وبنى حصنها على أساسه القديم ووضع بها سكانا من الجند من أرباب البأس والنخوة . وبنى فيها مسجدا فوق تل الحصن . وكان في الحصن كنيسة جعلت هريا . وبعد وقت قصير نشأ في الجانب الآخر من جيحان ربض أو مدينة ثانية سميت كفربيا ، بنى فيها الخليفة عمر الثاني مسجدا جامعا اتخذ فيه صهريجا . ثم ان مروان الثانى آخر خلفاء بنى أمية أنشأ ربضا ثالثا في شرقى جيحان يقال له الخصوص . وبنى عليه حائطا وأقام عليه باب خشب وخندق خندقاً . وفى زمن الخلفاء العباسيين ، بنى المنصور فى المصيصة مسجداً جامعاً فى موضع هيكل قديم كان بها وجعله مثل مسجد عمر (الثانى) ثلاث مرات. واستحدث هرون الرشيد كفربيا . وزاد المأمون فى مسجدها . وكان بين كفربيا والمصيصة قنطرة على نهر جيحان . ثم لما استخلف المنصــور ودخلت سنة ١٣٩ (٧٥٦) أمر بعمارة مدينة المصيصة وكان حائطها متشعثاً من الزلازل وسماها المعمورة . وبعد ذلك انتقلت المصيصة كسائر البلدان المجاورة لها الى ايدى ملوك ارمينية الصغرى .

ومدينة اذنة ، وهى قرب المصيصة ، تقع على نهر سيحان (نهر سارس Sarus) وكان فى الطريق على شيء يسير من المصيصة قنطرة ترقى الى أيام يسطنياس (Justinian) رمت فى سنة ١٢٥ (٧٤٣) وسميت بجسر الوليد نسبة الى الوليد الخليفة الاموى . ثم رمم المعتصم الخليفة العباسى هذا الجسر ثانية فى سنة ٢٢٥ (٨٤٠) . وأعاد المنصور بناء قسم من اذنة فى سنة ١٤١ (٧٥٨) . ووصفها الاصطخرى بقوله انها مدينة خصبة عامرة فى غربى نهر سيحان حصينة وكان حصنها فى ضفة النهر الشرقية بينه وبين المدينة « قنطرة معقودة عليه على طاق واحد » ، على ما جاء فى ياقوت . ولأذنة ثمانية أبواب وسور يليه خندق .

واطلق المسلمون على نهرى سارس وبيرامس اسم نهر سيحان ونهر جيحان . وكانا فى صدر الاسلام حدا مائيا بين بلاد المسلمين وبلاد الروم . وقد سمى البلدانيون العرب نهرى بيرامس وسارس باسم جيحان وسيحان ، على غرار تسميتهم نهري أوكسس (Oxus) وجكسارتس (Jaxartes) فى آسية الوسطى

وهما أكثر شهرة ، باسم جيحون وسيحون ، على ما سنبسط القول فيه • ومنابع هذين النهرين فى المرتفعات شمال ارمينية الصغرى • وكان نهر جيحان ـ وقد ذكر ابو الفداء انه « يقارب نهر الفرات فى الكبر ، وتسميه العامة جهان » ـ بعد مروره بالمصيصة يصب فى بحر الروم فى خليج اياس الى شمال ميناء المَلُّون (ملس Mallus) ثم صار ملو (Malo) • اما نهر سيحان فاصغر منه ، ولم يكن على ضفافه مدن جليلة غير اذنة • وعلى هذا النهر كانت قنطرة الحجر وقد مرّ ذكرها • وجيحان وسيحان على ما روى المسعودى من انهار الجنة[٤] •

ومهما يكن من أمر ، فان أجل الثغور مدينة طرسوس • وكان مقاتلتها من الفرسان والمشاة • وهى تشرف على المدخل الجنوبى للدرب المشهور عبر طوروس المعروف بأبواب قليقية ذكر ابن حوقل ان على طرسوس سورين من حجارة وبها مئة الف فارس • ثم قال « وكان بينها وبين حد الروم جبال منيعة متشعبة من اللكام كالحاجز بين العملين ، ويقصد بهما عالمي الاسلام والنصرانية • وقال ابن حوقل ان الحامية العظيمة التى أدركها وشاهدها فيها سنة ٣٦٧ (٩٧٨) « كانت من الغزاة الوافدين اليها من البلدان الاسلامية لقتال الروم » • وسبب ذلك ـ فيما ذكر ـ « ان ليس مدينة عظيمة من حد بلاد فارس والجزيرة والعراق والحجاز واليمن والشامات ومصر والمغرب الا وبها لأهلها دار ورباط فى طرسوس ينزله غزاة تلك البلدة ويرابطون بها اذا وردوها • وترد عليها الجرايات والصلات وتدرّ عليهم الانزال والحملان العظيمة الجسيمة الى ما كان السلاطين يتكلفونه وينفذونه متطوعين ويتحظّون عليه متبرعين » •

---

(٤) البلاذرى ١٦٥ و ١٦٦ و ١٦٨ ؛ الاصطخرى ٦٣ و ٦٤ ؛ ابن حوقل ١٢٢ ؛ المسعودى ٢ : ٣٥٨ ؛ ٨ : ٢٩٥ ؛ ياقوت ١ : ١٧٩ ، ٢ . ٨٢ ؛ ٤ : ٥٥٨ و ٥٧٩ • ابو الفداء ٥٠ •

جاء اسما هذين النهرين فى بعض الاوقات خطأ بصورة سيحون وجيحون ، على نحو ما يسمى به صنواهما لهرا آسية الوسطى • اما فيما يتصل بالفم القديم لنهر سارس ، فيحسن بنا أن نلاحظ ان ابن سرابيون (المخطوطة : الورقة ٤٤ آ) ذكر ان نهر سيحان (سارس) كان فى ايامه (اى فى بداية المئة الرابعة = العاشرة) يصب فى جيحان (بيرامس) على خمسة فراسخ فوق المصيصة • وبهذا يشترك هو وجيحان فى مصب واحد فى البحر • أما اليوم ، فلنهر سيحان فم فى الجهة الغربية قرب مرسينة • ومن الممكن تتبع معالم المجرى القديم • أنظر : المجلة الجغرافية Geog. Jour. لشهر تشرين الاول ١٩٠٣ ص ٤١٠ •

وعني الخلفاء العباسيون الاولون ، ولا سيما المهدى وهرون الرشيد ، بتحصين طرسوس وشحنها فى أول الأمر بثمانية آلاف من المقاتلة . وكانت الندبات السنوية على النصارى تجتاز من باب الجهاد المشهور لمقاتلتهم . وفى الجهة اليسرى من جامع طرسوس ، دفن الخليفة المأمون ، فقد ادركه منيته وهو في بذندون (بدندس Podandos) القرية منها . وكان يشق المدينة نهر البردان (نهر كودنس Cydnus) . وفى سوريّ المدينة ستة أبواب وخندق عميق . ولبثت طرسوس ، على ما قال ياقوت ، ثغراً اسلامياً حتى كانت سنة ٣٥٤ (٩٦٥) فان نقفور ملك الروم Nicephorus Phocas استولى على الثغور ونزل على طرسوس فسلمها اليه من كان بها على الامان والصلح . فخرج منها من المسلمين من أراد بلاد الاسلام وأقام نفر يسير على الجزية . وخربت المساجد ، وأحرق نقفور المصاحف وأخذ من خزائن السلاح ما لم يُسمع بمثله ، ولم تزل طرسوس بيد النصارى الى هذه الغاية أى سنة ٦٢٣ (١٢٢٦) » .

وكان نهر كودنس القديم يعرف على ما بيّنا ، بنهر البردان أو بردى . وذكر ابن الفقيه انه كان يسمى ايضا نهر الغضبان . ومخرجه من أصل جبل فى شمال طرسوس يعرف بالاقرع ويصب فى بحر الروم غير بعيد عن المصب الحديث لنهر سيحان . وفى ناحية الغرب ، على مرحلة من طرسوس ، نهر كان يؤلف حدا مائيا فى الازمنة الاولى ، وهو نهر لموس Lamos سماه العرب نهر اللامس . « وعليه يكون الفداء اذا فودي بين المسلمين والروم » . ومما يلي هذا النهر بلدة للروم تعرف بسلوقية أو سلوقية قليقية Seleucia of Cilicia وقد صار أسمها فى أيام الترك فى العهد الاخير سلفكة Selefkeh[٥].

ويقطع جبال طوروس دروب كثيرة سلك المسلمون اثنين منها بوجه خاص فى غزواتهم السنوية لبلاد الروم : اولهما درب الحدث وهو فى الشمال الشرقى وكان من مرعش فشمالا الى ابلستين وقد عرفت هذه المدينة فى الازمنة الاخيرة

---

(٥) ابن حوقل ١٢٢ ؛ ابن الفقيه ١١٦ ؛ البلاذرى ١٦٩ ؛ المسعودى ١ : ٢٦٤ ؛ ٧ ٢ ؛ ٨ ، ٧٢ ؛ ياقوت ١ ، ٥٥٣ و ٥٥٨ ؛ ٣ ، ٥٢٦ ؛ الطبرى ٣ ١٢٣٧ .

بالبستان (وهى أبلستا البزنطية Ablastha وعربسوس اليونانية Arabissus) وكان يحمى هذا الدرب حصن الحدث Adata وقد مرّ ذكره فى الفصل السابق . وثانى الدروب ، وكثيرا ما كان يُسلك فى الأزمنة القديمة ، هو درب الابواب القليقية الضارب شمالا من طرسوس ، ومنه يأخذ الطريق العام الى القسطنطنية . كان هذا الطريق هو الذى يسلكه سعاة البريد ويمرّ منه وفود قيصر والخليفة ، كما انه الطريق الذى تتبعه ندبات الغزو العديدة من الاسلام والنصارى . وقد عني ابن خرداذبه فى سنة ٢٥٠ (٨٦٤) بوصف هذا الطريق ، وعنه نقل غير واحد من المصنفين بعده . كان هذا الدرب يعرف فى قسمه الجنوبى بدرب السلامة ويتصل بما يسمى پيلية قليقية Pylae Ciliciae وهى الأبواب القليقية المشهورة .

ودونك هذا الوصف ، على ان كثيرا من المواضع المذكورة فيه لا يمكن تعيينها فى يومنا ، وقد وضعنا بين قوسين ما تيسرت معرفته عن اسماء بعضها . قال ابن خرداذبه : « من طرسوس الى العُلّيق اثنا عشر ميلا ، ثم الى الرهوة (أى المكان المنخفض ولعلها ميسُكرينة Mopsukrene القديمة) ، ثم الى الجوزات اثنا عشر ميلا ، ثم الى الجردقوب سبعة أميال ، ثم الى البذندون (Podandos وهى بزنطى الحديثة) سبعة أميال وفيها عين تسمى عين رقة مات عندها المأمون[٦] . ثم الى مسكر الملك على حمة لؤلؤة (لولون Loulon) والصفصاف عشرة أميال (قرب فوستنوبولس Faustinopolis) وكذلك حصن الصقالبة عشرة أميال ، وتصير الى مسكر الملك وقد قطعت الدرب (النهاية الشمالية من درب الابواب القليقية) وأصحرت . ومن مسكر الملك (حيث نهاية الابواب القليقية) الى وادى الطرفاء اثنا عشر ميلا ، ثم الى منى عشرون ميلا ، ثم الى نهر هرقلة (وهرقلة هى اراكلية الحديثة وهركلية Heraclia عند الروم وهى المدينة التى استولى عليها هرون الرشيد عنوةً) اثنا عشر ميلا ، ثم الى مدينة اللبن ثمانية أميال ، ثم الى رأس الغابة خمسة عشر ميلا . ثم الى المسكنين ستة عشر ميلا ، ثم الى عين برغوث اثنا

(٦) انظر خبر ذلك فى مروج الذهب (٧ : ٩٦) وتاريخ الخلفاء للسيوطى ص ٢٠٩ طبعة المصرية . (م) .

عشر ميلا ، ثم الى نهر الاحساء (أى النهر الذى تحت الارض) ثمانية عشر ميلا ، ثم الى ربض قونية (ايكونيوم Iconium) ثمانية عشر ميلا ، ثم الى العلمين خمسة عشر ميلا ، ثم الى ابروسسانة عشرون ميلا ، ثم الى وادى الجوز اثنا عشر ميلا ، ثم الى عمورية (آموريون Amorion) اثنا عشر ميلا . وطريق آخر من العلمين الى عمورية يبدأ من العلمين الى قرى نصر الاقريطشى خمسة عشر ميلا ، ثم الى رأس بحيرة الباسليون (بحيرة الاربعين شهيدا) عشرة أميال ، ثم الى السند عشرة أميال ، ثم الى حصن سنادة (وهى حصن سنادس Synades) ثمانية عشر ميلا ، ثم الى مَنْل خمسة وعشرون ميلا ، ثم الى غابة عمورية ثلاثون ميلا .

ومن عمورية الى قرى الحرّاب خمسة عشر ميلا ، ثم الى صاغري (وهو Sangarius) نهر عمورية ميلان ، ثم الى الملح اثنا عشر ميلاً ، ثم الى فلامى الغابة خمسة عشر ميلا ، ثم الى حصن اليهود اثنا عشر ميلا ، ثم الى سندابري (سنتابريس Santabaris) ثمانية عشر ميلا ، ثم الى مرج حُمُر الملك فى درّوليبة (دوريليوم Dorylaeum) خمسة وثلاثون ميلا ، ثم الى حصن قَرقُورُبلي خمسة عشر ميلا ، ثم الى كنائس الملك Basilica of Anna Comnena ثلاثة أميال ، ثم الى التلول خمسة وعشرون ميلا ، ثم الى الاكوار خمسة عشر ميلا ، ثم الى ملاجنة Malagina خمسة عشر ميلا ، ثم الى اصطبل الملك خمسة أميال ، ثم الى حصن الغبراء (وهى كيبوتس Kibotos حيث معدية تصل الى Aigialos) ثلاثون ميلا ثم الى الخليج (وهو بوسفور القسطنطينية Bosporus) اربعة وعشرون ميلا ، ونيقية Nicaea بازاء (أى جنوب) الغبراء » . وبهذا يختتم ابن خرداذبه كلامه على طريق القسطنطينية(٧) .

---

(٧) ابن خرداذبه ١٠٠ — ١٠٢ و ١١٠ و ١١٣ وقد جاء فى ابن خرداذبه (ص ١٠٢ — ١٠٣) وصف طرق تختلف بعض الشيء عن هذا الطريق . وزاد الادريسى على ذلك ذكر المسافات (طبعة جوبرت Jaubert ٢ : ٣٠٨ و ٣٠٩) وقارن ذلك بما كتبه رمسى Ramsay فى HGAM (ص ٢٣٦ و ٤٤٥) . وقد عيّن البروفسور رمسى (أنظر المجلة الجغرافية GJ لشهر تشرين الاول ١٩٠٣ ص ٢٨٣) حصن الصقالبة المشهور بكونه خرائب الحصن البزنطى المبنى بالرخام الاسود المسمى الآن انشا ملعه سى الجاثمة فى أعالى الجبل المطل حتويا على مدينة بزنطى (بديدوس أى بوديندس) اما حصن لولون Loulon البزنطى ، وقد سماه العرب لؤلؤة ، فقد عينه أيضا (أنظر نفس

اما ماكان يعرفه المصنفون العرب القدماء عن جغرافية آسية الصغرى ، فليس الا لمحات خاطئة لا تمت الى الواقع بصلة الا وصفهم الطريق العام الى القسطنطينية. مصداق ذلك ما نراه من خلط عند ابن حوقل بين النهرين المختلفين : آلس وصاغره وهلس وسنكاريوس • ونجد أيضا فى التواريخ القديمة اسماء جملة من مدن الروم بصورتها المعربة ولكن معظم هذه الاسماء قد انتهى الينا على غير هذه الصور بعد الفتح التركى • على ان ما يؤسف له ، هو ان المصنفين العرب لم يخلفوا لنا وصفا لهذه المدن • ونذكر ههنا شيئا منها مما لا شبهة فى صحته : الطوانة (Tyana) دباسة (Thebasa) ملقوبية (Malacopia) هرقلة (Heraclia) لاذق (Laodicea) قيصرية (Caesarea Mazaka of Cappadocia) انطاكية (Antioch of Pisidia) قطية (Cotyaeum) انقرة (Angora) افسوس (Ephesus) أبدوس (Abydos) نقموذية (Nicomedia) وغيرها من المدن •

أما طرابزون (Trebizond) وكتب اسمها طرابزندة أو اطرابزندة ، فهى على ما جاء فى ابن حوقل أجل ميناء كانت تجلب اليها السلع من القسطنطينية فى صدر الدولة العباسية وتحمل منها الى بلاد الاسلام • فكان التجار العرب ووكلاؤهم ينقلون السلع منها عبر الجبال الى ملطية وغيرها من مدن الفرات الاعلى • وكانت هذه التجارة بيد الارمن على ما فى ابن حوقل • على ان كثيرا من التجار المسلمين ، حسبما ذكر ، كانوا يقيمون فى اطرابزندة • وأخص هذه السلع : ثياب الكتان اليونانى وثياب الصوف والديباج والاكسية الرومية وكلها كان يجلب بحرا من الخليج أى البوسفور • ومما يدل على شهرة طرابزون وعظم شأنها فى ذلك الزمن ، ان البحر الاسود كان يعرف باسم بحر طرابزندة • على ان اسمه الرسمى كان بحر بنطس أو بنطش • وهو بنتس Pontos

---

المصدر ص ٤٠١ و ٤٠٢ فصه صوره لهذا الموضع) واللؤلؤة تقوم فى الشمال دون الصفصاف • وتدل الصفصاف على المستوطن الذى فى الوادى أسفلها حيث كانت المدينة اليونانية فوستينوبوليس Faustinopolis .

عند الروم الذى كان لتصحيف اسمه (من جرّاء اعجام الحروف العربية) قد كتب ولفظ منذ الأزمنة الاولى خطأً بصورة نيطس ونيطش ، وغالبا ما اقتبس المصنفون الفرس والترك الاسم بهذه الصورة المصحفة ، وانتقل هذا التصحيف الى المطبعة فلا سبيل الى رجعه الى سابق اسمه[8] .

ومع ان ما دوّنه مصنفو العرب عن طبغرافية مدن آسية الصغرى فيما قبل الفتح السلجوقى ، أى فى النصف الاخير من المئة الخامسة (الحادية عشرة) ، قليل غاية القلة ، فقد كان المسلمون يعرفون معظم هذه البلاد ، فانهم كانوا فى أيام بنى امية وصدر الدولة العباسية يقومون فى كل سنة تقريبا بل غالبا مرتين فى السنة ، فى الربيع والخريف بغزوات يجتازون فيها دروب جبل طوروس الى بلاد الروم . وكانت غاية الغايات عندهم الاستيلاء على القسطنطينية . وفى الواقع لقد ضرب المسلمون الحصار على القسطنطينية ثلاث مرات فى أيام بنى امية ولكن نهاية كل حصار كانت وخيمة على المهاجمين . وليس ذلك بمستغرب اذا ما علمنا ان البوسفور يبعد عن طرسوس قاعدة الهجوم العربى نيفا واربعمئة وخمسين ميلا فى خط مستقيم يقطع هضبة آسية الصغرى الجبلية .

واول هذه الحصارات الثلاثة المشهورة كان فى سنة ٣٢ (٦٥٢) فى ايام عثمان ، حين غزا معاوية ـ وقد تولى الخلافة فيما بعد ـ آسية الصغرى واجتازها يريد القسطنطينية . فهاجمها اولا ثم ضرب عليها الحصار ولكنه اضطر الى رفع الحصار عنها لما بلغه مقتل الخليفة عثمان . واعقب ذلك أحداث انتهت بقيام الدولة الاموية . وكان الحصار الثانى فى سنة ٤٩ (٦٦٩) حين بعث معاوية ـ وكان قد اصبح خليفة ـ ابنه وولى عهده يزيد لقتال الملك قسطنطين الرابع . بيد ان عجز قادة الجيش اوقع بالجيش الاسلامى هزيمة منكرة . فلما توفى ابوه صارت اليه الخلافة فعاد الى بلاده . أما الحصار الثالث وهو اشهر حصار وقع على القسطنطينية فقد دام سنين فى عهد الخليفة سليمان الذى بعث اخاه مسلمة فى سنة ٩٦ (٧١٥)

---

(٨) ابن حوقل ١٢٦ و ١٣٢ و ٢٤٥ و ٢٤٦ ؛ ابن خرداذبه ١٠٣ ؛ البلاذرى ١٦١ ؛ الطبرى ٣ : ٧٠٩ و ٧١٠ ؛ ابو الفداء ٣٤ ؛ ياقوت ١ : ٤٠١ و ٤٩٩ ؛ المسعودى ١ : ٢٦٠ .

وقد يسمى البحر الأسود بحر الخزر وهو اسم يطلق فى العادة على بحر قزوين (ابن خرداذبه ١٠٣) .

لقتال ليو الايزورى Leo the Isaurian وقد انتهى الينا عن هذه الحملة التي باءت ايضا بهزيمة المسلمين اخبار كاملة من التواريخ العربية والرومية . وفي هذه الحروب اشتهر عبدالله الملقب بالبطال الذى اعتبره الترك بعد زمن طويل بطلهم القومى والجندى المسلم الذى لا يقهر .

ولم تحل هذه الخسائر والهزائم دون مضي المسلمين فى غزواتهم سنة بعد أخرى ما خلا فترة قصيرة انصرف فيها العباسيون الى توطيد أركان دولتهم ، ثم حلّوا فى ذلك محل بنى أمية بعد قرن أو أكثر من قرن على توليهم الخلافة . والعباسيون وان صعب عليهم ضرب الحصار على القسطنطينية ، فانهم غزوا ارجاء آسية الصغرى مرة تلو أخرى وأعملوا فيها النهب والحرق . وأشهر هذه الغزوات : ندبة الخليفة المعتصم بن هرون الرشيد فى سنة ٢٢٣ (٨٣٨) على عمورية . وهي الموصوفة بانها اجل مدينة فى الشرق ، واشمخ واحصن بلاد الروم وهي عين النصرانية ، فأمر الخليفة بنهبها وهدمها وحرقها وعاد الخليفة راضيا ومعه المغانم(٩).

وقد عني ابن خرداذبه بوصف أعمال آسية الصغرى فى أيام ملوك الروم . ويفيدنا وصفه فى تصحيح التفاصيل المشوشة التى دوّنها قسطنطين بورفيروجينيتس

---

(٩) افاض المستر بروكس E. W. Brooks فى سرد غزوات المسلمين فى آسية الصغرى مستقيا ذلك من المراجع العربية مع التعليق عليها فى بحثه الموسوم « العرب فى آسية الصغرى من سنة ٦٤١ الى ٧٥٠ م » The Arabs in Asin Minor, 641 to 750 المنشور فى مجلة الدراسات الهلنية (Journal of Hellenic Studies) المجلد ١٨ سنة ١٨٩٨ . وفي بحثه الموسوم « البزنطيين والعرب فى صدر الدولة العباسية : ٧٥٠ ـ ٨١٣ م » Byzantines and Arabs in the time of early Abbasid, 750 to 813 المنشور فى المجلة الانكليزية التاريخية English Historical Review القسم الأول منه فى عدد تشرين الأول ١٩٠٠ وقسمه الثانى فى عدد كانون الثانى ١٩٠١ . وقد عالج موضوع حصار القسطنطينية العظيم فى ايام خلافة سليمان فى مقال نشره فى مجلة الدراسات الهلنية أيضا (المجلد ١٩ لسنة ١٨٩٩ بعنوان « حملة سنة ٧١٦ الى ٧١٨ بحسب المراجع العربية » (TheCampaign of 716 to 718 from Arabic Sources) وتناول هذا الموضوع من الجانب البزنطى البروفسور جى . بى . بورى J. B. Bury فى كتابه History of the Later Roman Empire المجلد الثانى ص ٤٠١ . ويسمي المسلمون Constantinople بالقسطنطينية . اما فيما يتصل باسمها البزنطى الذى يقال ان منه اشتق لفظ « استانبول » الاسم التركى الحديث فيحسن بنا ان نلاحظ ان المسعودى فى النصف الأول من المئة الرابعة (العاشرة) كتب (التنبيه ص ١٣٨) ان الروم فى ايامه كانوا يسمون عاصمتهم بولن Bulin (اى بولن Polin ومعناها : المدينة) . « واذا أرادوا عنها انها دار الملك لعظمها قالوا استن بولن ولا يدعونها القسطنطينية وانما العرب تعبر عنها بذلك » .

Constantine Porphyrogenitus ونحن على كل حال فى غنى عن بحث ذلك ها هنا اذ ان هذا الموضوع يدخل فى جغرافية بلاد الروم • اما عدا ما وصفنا من مدن ، فان المصنفين العرب حين تحدثوا عن الحملات الاسلامية على ما وراء الحدود ، أشاروا الى جملة مواضع يصعب تعيينها الآن اما لغموض ما ذكروه عنها واما للبس فى الاسم • وعليه فان مرج الاسقف ، وكثيرا ما ذكروه ، جاء عنه فى أحد مسالك ابن خرداذبه انه على شى يسير غرب بذندس (البذندون) • والمطمورة[١٠] أو المطامير (بصيغة الجمع) تردد ذكرها كذلك ، وعلينا ان نبحث عنها فى ما جاور ملقوبية • وذو الكلاع وتكتب أيضا ذو القلاع كانت قلعة مشهورة • قال البلاذرى ان اسمها عند الروم تفسيره « الحصن الذى مع الكواكب » • ويبدو انها تطابق سيديروبوليس Sideropolis فى بلاد القباذق Cappadocia .

ومدينة لؤلؤة وهى لولون عند البزنطيين سماها العرب بذلك ليضفوا على اسمها معنى ، وهى على ما ذكرنا فى النهاية الشمالية لدرب الابواب القليقية والى شمالها كانت تيانا (طوانة أو طوانة) وقد كان هرون الرشيد شحنها بالمقاتلة وبنى فيها جامعا • وكانت مدينة أو حصن الصفصاف فى طريق القسطنطينية قرب لؤلؤة ولعلها موضع فوستينوبوليس على ما قد مرّ (ص ١٦٦) • وفى جنوب البذندون حصن الصقالبة وفيه عسكر ، على ما ذكر البلاذرى ، قوم من الصقالبة كانوا فرّوا من البزنطيين • وكان مروان الثانى آخر خلفاء بنى أمية قد جعلهم فيها لحراسة الدرب[١١] •

وبعد عام ٢٢٣ (٨٣٨) وهو تاريخ حملة الخليفة المعتصم المشهورة على عمورية ، قلّت الغزوات الاسلامية لبلاد الروم • فان تواتر الفتن فى بغداد صرف خلفاء بنى

---

(١٠) ان Mazmorra باللغة الاسبانية تسمى الدبماس وهى Massamora بالاسكندرية (انظر The Antiquary الفصل ٣٣ فى الحاشية) •

(١١) انظر عن اعمال بلاد الروم ، البحث الموسوم بـ « الاثبات العربية لاعمال بلاد الروم » Arabic Lists of the Byzantine Themes بقلم بروكس E. W. Brooks فى مجلة الدراسات الهلينية المجلد ٢١ لسنة ١٩٠١ • ابن خرداذبه ١٠٢ و ١٠٥ البلاذرى ١٥٠ و ١٧٠ الطبرى: ٣ : ٧١٠ و ١٢٣٧ ' ابن الاثير ٦ . ٣٤١ ' رمسى Ramsay فى HGAM ص ٣٤٠ و ٣٥٤ و ٣٥٦ •

العباس عن التفكير فى غزو بلاد الروم • ومع ذلك فانه منذ منتصف المئة الثالثة (التاسعة) حتى المئة الخامسة (الحادية عشرة) كان كثير من الجيوش الاسلامية المجنّدة من ممالك عدة تابعة للخليفة قد عبر الدروب • ولم تثبت الحدود على حال واحدة بل كانت فى تقدم وتراجع واقبال وادبار وفى وسعنا القول ان المسلمين لم يحتفظوا بجزء من الارض مما وراء طوروس احتفاظا مستداما •

ولكن بقيام الاتراك السلاجقة فى المئة الخامسة (الحادية عشرة) بعد [كذا • والصواب : قبل] الحروب الصليبية ، تغير وجه الامور فى آسية الصغرى كل التغير • ففى ربيع سنة ٤٦٣ (١٠٧١) أحرز الب ارسلان السلجوقى نصرا مبينا فى وقعة ملسجرد (منزكرت) فأباد جيش الروم على بكرة أبيه وأسر ملكهم رومانس ديوجينس (Romanus Diogenes) • والى ذلك ، كان الب ارسلان قد استولى سنة ٤٥٦ (١٠٦٤) على آنى عاصمة ارمينية النصرانية ، فتقوضت بذلك مملكة بَقْرَ وَنْد الارمنية القديمة تمكن من ذلك ان أسس روبن (Rupen) أحد اقاربهم مملكة ارمنية الصغرى فى طوروس • وعلى أثر وقعة ملسجرد انفذ الب ارسلان ابن عمه سليمان بن قتلمش الى آسية الصغرى • ثم ان السلاجقة بعد ما كانوا عليه من بداوة ، اقاموا فى الهضبة العالية التى تؤلف قلب هذا الاقليم وصارت مملكة الروم منذ ذلك الحين من ديار الاسلام •

وقد أوغل السلاجقة غربا وحالفهم النصر ، فامتدت غزواتهم حتى نيقية ، وبقيت فى أيديهم زمنا قصيرا متخذيها عاصمة لهم • ولكنهم ردّوا على أعقابهم فى الحملة الصليبية الاولى وتراجعوا الى الهضبة الوسطى واصبحت ايكونيوم (Iconium) وهى قونية التى فتحوها فى سنة ٤٧٧ (١٠٨٤) دار ملكهم ولبثت كذلك[١٢] •

---

(١٢) ابن الاثير ١٠ : ٢٥ و ٤٤ ؛ جهان نما ٦٢١ • وانظر تاريخ فن الحرب History of the Art of War بقلم اومان G. Oman ص ٢١٦ - ٢٢١ عن وقعة منزكرت •

وتاريخ السلاجقة فى بلاد الروم وخلفائهم الامراء التركمان العشرة المنتهى بقيام سلاطين آل عثمان ، اغمض دور فى جميع التواريخ الاسلامية يا للاسف • ولم تكن للمؤرخين الفارسيين ميرخواند وخواند مير ما يضيفانه الى الموجز الذى كتبه المستوفى عن سلاجقة الروم فى كتابه « تاريخ گزيده » • ولعل اكمل تاريخ لهذه الدولة ما فى كتاب « العبر » لابن خلدون (٥ : ١٦٢ - ١٧٥) غير ان ذلك

دامت سلالة سلاطين قونية السلجوقية أكثر من قرنين أي من سنة ٤٧٠ (١٠٧٧) حتى سنة ٧٠٠ (١٣٠٠) غير ان سلطانهم الحقيقي كان قد انتهى بفتح المغول لقونية في سنة ٦٥٥ (١٢٥٧) وذلك قبل سقوط بغداد بسنة واحدة ، واقترن قيام السلاجقة في هضبة آسية الصغرى بنشوء مملكة ارمينية الصغرى النصرانية في بلاد طوروس ، وبعيد سنة ٤٧٣ (١٠٨٠) اتخذ روبن مؤسس الدولة الجديدة مدينة سيس ويقال لها أيضا سيسية قاعدة لملكه ، وبعد ذلك بقرن أي في سنة ٥٩٤ (١١٩٨) لقب ليو بالملك ، ولم ينته حكم ملوك ارمينية الصغرى الذين قاوموا الفتح المغولي الا في سنة ٧٤٣ (١٣٤٢) ، وكانت هذه المملكة قد اتسعت رقعتها من سيس فشملت البلاد الجبلية التي يسقيها نهرا سيحان وجيحان ، وامتدت جنوبا الى بحر الروم وضمت مدينة المصيصة واذنة وطرسوس ومعظم مدن الساحل الى غرب طرسوس ، وكانت سيس (أي سيسية) وهي فلافيوبوليس Flaviopolis القديمة حصن عين زربى البعيد في صدر الدولة العباسية ، وقد جدد أسواره الخليفة المتوكل حفيد هرون الرشيد ، واستولى عليه الروم بعد ذلك، وحين كتب ابو الفداء في سنة ٧٢١ (١٣٢١) نوّه بان ليو الثاني (ابن لاون) الملقب بالعظيم ملك ارمينية الصغرى قد احدثها ، وهي ذات قلعة بأسوار ثلاثة على جبل مستطيل ولها بساتين ونهر صغير من روافد جيحان ، وذكر ياقوت « ان عامة أهلها يقولون سيس » في أيامه ،

وفي غرب مملكة ارمينية الصغرى وشمالها تمتد بلاد سلاطين السلاجقة ، ولم تمض مئة سنة على استيلائهم على هضبة آسية الصغرى حتى كانت جيوش الصليبيين قد اخترقت هذا الاقليم ثلاث مرات ، وقد اتجهت الحرب الصليبية الاولى

لا يعدو في الحقيقة ان يكون ثبتا بالاسماء والتواريخ ، اما تاريخ ابن بيبي ، وقد نشره أخيرا البروفسور هوتسما ، فانه ر آ أسعا لا يبدأ الا بعد ملج ارسلان الثاني في سنة ٥٥١ (١١٣٦) ، اما السبعون سنة الاولى من حكم السلاجقة حين كانوا يفتحون آسية الصغرى ويوطدون حكمهم فيها ، فلا نعرف عنها شيئا قط ، ولم ندوه الا بالنصر العظيم الذي اصابوه في وقعة منزكرت ، اما المعارك التي أسفرت عن طرد الروم من هضاب آسية الصغرى فلم تدون عنها شيء كما لم يشر الى معاهدة يفترض عقدها — بوجه رسمي او غير رسمي — بين الروم والسلاجقة بعد وقعة منزكرت ، وللاطلاع على خلاصة ما يعرف عن أمراء التركمان الذين خلفوا سلاطين بلاد الروم ، انظر بحث البروفسور لين بول « أخلاف السلاجقة في آسية الصغرى » The Successors of the Saljuks in Asia Minor في مجلة JRAS لسنة ١٨٨٢ ص ٧٧٣ ،

سنة ٤٩٠ (١٠٩٧) بهزيمة قلج ارسلان الأول (ابن وخليفة سليمان ، أول سلطان على بلاد الروم) من نيقية . ومرّت شرذمة من الصليبيين بقونية وعادت الى البحر عند طرسوس وركبت السفن الى فلسطين . وفى الحرب الصليبية الثانية تغلب لويس السابع ملك فرنسة على السلطان مسعود (ابن قلج ارسلان) عند ضفاف ميانـدر (Meander) سنة ٥٤٢ (١١٤٧) ولكن الفرنج فى فى سيرهم الى ميناء أنطالية كابدوا خسرانا فادحا فى المنطقة الجبلية . وفى الحرب الصليبية الثالثة يقال ان الملك فردريك بربروسة انتزع فى سنة ٥٨٦ (١١٩٠) قونية عاصمة السلاجقة من قلج ارسلان الثانى (ابن مسعود) . ولكن بربروسة فى متابعته السير غرق فى نهر قرب سلوقية (سلوقية قليقية) لعله نهر لاموس أو نهر اللمس المار ذكره (ص ١٦٥) حيث كان يجرى فى أيام العباسيين الأوائل تبادل الاسرى بين المسلمين والنصارى أى فداؤهم .

ولا ريب فى ان رقعة البلاد التى حكمها سلاجقة الروم قد اختلفت باختلاف الازمنة والاحوال . فقد كان لتضاؤل شأن الروم أو ازدياد قوتهم ، ونشوء مملكة ارمينية الصغرى النصرانية ، وما كانت عليه حال الدويلات الاسلامية المجاورة التى اكتسح الصليبيون بعضها وحكم بعض الوقت امراء الفرنج رعايا من المسلمين ، أثره فى ذلك . وقد عرفنا أهم المدن التابعة لسلاجقة بلاد الروم على نحو ما كانت عليه فى سنة ٥٨٧ (١١٩١) من توزيع قلج ارسلان الثانى أملاكه فى تلك السنة بين أولاده الاحد عشر . فقد كانت قونية (ايكونيوم) ، على ما بيّنا ، عاصمة السلاجقة . وكانت قيصرية (Caesarea Mazaka) ثانى مدن سلطنتهم . وملطية (Melitene) أهم مدن الولاية الشرقية على حدود الفرات . وفى الشمال سيواس (Sebastia) ونكيسار (أو نيكسار وهى نوسيزارية (Neo-Caesarea) القديمة) ، وتوقات واماسية (Amasia) وقد اقطع كل منها أميرا سلجوقيا . ومثل ذلك انكورية (Angora) فى الشمال الغربى وبُرُغْلو فى الحد الغربى ولعلها ألو برلو الحديثة وهى غرب بحيرة اكردور . وعلى الحدود الجنوبية شرقى قونية المدن

الهمة : اراكلية Heraclia ونكيدة أو نكدة وابلستين التى عرفت بعدئذ بالبستان (Arabissus).

وقد مدّ السلطان علاء الدين ، الذى اعتلى العرش فى سنة ٦١٦ (١٢١٩) وهو حفيد قلج ارسلان الثانى ، سلطانه شمالا وجنوبا من سواحل البحر الاسود الى بحر الروم • فاستولى على سينوب (Sinope) على البحر الاسود وأنشأ على الساحل الجنوبى ميناء عظيما فى العلايا ـ وقد نسب اليه ـ وما زالت ترى فيه بقايا أخشاب لبناء السفن وغير ذلك من المنشآت الخاصة ببحرية السلاجقة العظيمة • ومدّ سلطانه فى الشمال الشرقى الى مدينة صارى بولى • وقد كان لكتابات جلال الدين الرومى الشاعر الصوفى العظيم الذى عاش ومات فى قونية أبلغ الاثر فى اشتهار عهده • وبعد ان مضت ثلاثون سنة على موت علاء الدين أى فى سنة ٦٣٤ (١٢٣٧) قوض الجيش المغولى سلطان السلاجقة ولم يكن السلاطين الاربعة الاخيرون فى الحقيقة غير ولاة خاضعين لايلخانيي فارس • وفى سنة ٧٠٠ (١٣٠٠) قسمت ولاية الروم بين الامراء التركمان العشرة وهم فى الاصل من اتباع السلاطين السلاجقة[١٣] •

---

(١٣) البلاذرى ١٧٠ ؛ ياقوت ٣ : ٢١٧ ؛ أبو الفداء ٢٣٧ ؛ ابن بيبى • ؛ جهان نما ٦٢١ و ٦٢٢ •

وذكر الادريسى ، وقد كتب فى سنة ٥٤٨ (١١٥٣) ، انه زار عمورية (جوبرت ٢ : ٣٠٠) ورأى سنة ٥١٠ (١١١٦) كهف اصحاب الكهف السبعة • وهو البلدانى المسلم الوحيد الذى وصف آسية الصغرى فى أيام السلاجقة • ومما يؤسف عليه ان كتابه وصل الينا مصحفا تصحيفا عظيما فقد ذكر عددا من المسالك التى تخترق آسية الصغرى فى كل جهة ولكن من الصعب جدا التحقق منها • فان اسماء المواضع التى تمر بها هذه المسالك لا يميز معظمها وان كان لا يشك فى أسماء المراحل الختامية • الادريسى ٢ : ٣٠٥ ـ ٣١٨ •

وقد عين البروفسور رمسى(MGAM ص ٧٨ و ٣٨٢ و ٣٨٤) حدود مملكة السلاجقة بوضوح ويرى وصف للجوامع وغيرها من ابنية السلاجقة فى سلسلة مقالات كتبها هوار M. C. Haurt موسومة بـ « الكتابات العربية فى آسية الصغرى Epigraphie Arabe d'Asie Mineur فى مجلة الساميات Révue Sémitique سنة ١٨٩٤ ص ٦١ و ١٢٠ و ٢٣٥ و ٣٢٤ وسنة ١٨٩٥ ص ٧٣ و ١٧٥ و ٢١٤ و ٣٤٤ • وفى المجلة الآسيوية Journal Asiatique لسنة ١٩٠١ المجلد الاول ص ٣٤٣ وكذلك فى المقال الموسوم Monuments Seljoukides de Sivas etc. الآثار السلجوقية فى سيواس لكاتبه كرنار M.F. Grenard المنشور فى المجلة الآسيوية لسنة ١٩٠٠ العدد الثانى ص ٤٥١ وانظر أيضا بحث البروفسور رمسى مع ملاحظات فيه للسر ص • ولسن C. Wilson وغيره فى المجلة الجغرافية Geographical Journal لشهر ايلول ١٩٠٢ ص ٢٥٧ و

الفصل العاشر

بِلادُ الرُّوم «تتمة»

الامارات التركمانية العشر – ابن بطوطة والمستوفي – قيسارية وسيواس – سلطان العراق – امير قرمان – قونية – امير تكة والعلايا وانطالية – امير حميد واكريدور – امير جرميان وكوتاهية وصوري حصار – امير منتشا وميلاس – امير آيدين وافسوس وازمير – امير صاروخان ومغنيسية – امير قراسي وبرغامس – الولاية العثمانية وبرصي – امير قزل احمد لى : صنوب (سينوب) ·

تتفق حدود الامارات التركمانية العشر فى المئة الثامنة (الرابعة عشرة) وحدود المقاطعات اليونانية القديمة فى آسية الصغرى · وهذه الامارات هى : قرامان أو قرمان أكبرها وهى ليقونية القديمة (Lycaonia) · وعلى ساحل بحر الروم : تكه وتشتمل على ليقية (Lycia) وبمفيلية (Pamphylia) · وفى الداخل : حميد وتضم بسيدية (Pisidia) وايزورية (Isauria) معا · وكرميان أو جرميان وتطابق فريجية (Phrygia) · وعلى ساحل البحر الاسود : قزل احمد لى ويقال لها أيضا اسفنديار وكانت بفلغونية (Paphalagonia) · وعلى السواحل الايجية : منتشا وهى كارية (Caria) القديمة · وآيدين وصاروخان

معا تطـابقان مملكة ليـدية (Lydia) • وفراصى كـانت ميسية (Mysia) وأخيرا الولاية العثمانية (وهى للعثمانيين الذين سيطروا بعدئذ على الامارات التسع الاخرى) وكانت فى أول أمرها مقاطعة فريجية ابيكتتس (Phrygia Epictetus) وفى ظهرها أراضى بثية (Bythia) التالية التى انتزعها العثمانيون أخيرا من يد الروم •

وقد انتهى الينا عن حال آسية الصغرى فى أيام الامراء التركمانيين أخبـار غريبة جدا دوّنها ابن بطوطة المغربى فى رحلته ، وكان قد نزل فى العلايا فى منصرفه من الشام وزار فى سنة ٧٣٣ (١٣٣٣) كثيرا من الامراء الصغار فى طريقه الى صنوب (Sinope) • ومنها قطع البحر الاسود الى القرم ، ويبدو ان قسما من وصفه قد ضاع يا للأسف • سافر ابن بطوطة من العلايا محاذيا ساحل البحر الى أنطالية ثم ضرب شمالا فاجتاز الجبال الى اكريدور فى حميد على بحـيرة اكريدور ومنها توجه الى لاذق (Laodicea ad Lycum) فوصل ميلاس فى منتشا • ثم قطع آسية الصغرى بطريق منحرف الى قونية وقيسارية فسيواس وارزن الروم • ومن بعد ذلك يعتري حديث رحلته نقص : اذ ان المدينة التالية التى ذكرها كـانت بركي فى آيدين • ومنهـا زار اياسـلوق (افسوس Ephesus) • وأخيرا اتجه ابن بطوطة صوب الشمال فالشرق فمرّ فى طريقه بمدينة برصى وغيرها من المدن حتى انتهى الى صنوب فى ساحل البحر الاسود • وقد زاد معاصره المستوفى ، فى ما كتبه عن جغرافية بلاد الروم ، بعض التفصيل على ما وصفه من مدن • على ان المستوفى ، وان كتب فى سنة ٧٤٠ (١٣٤٠) ، فقد اعتمد على مراجع قديمة • فكانت أخباره تصف حال بلاد الروم فى أواخر عهد السلاجقة أكثر مما تصف حال تلك البلاد حين وطد الامراء العشرة سلطانهم فيها •

وفى مطلع المئة التاسعة (الخامسة عشرة) كانت غارة تيمـور على آسـية الصغرى قد قلبت مجرى الامور رأسـا على عقب الى أجل ما ، وردّت الدولـة العثمانية الحديثة النشأة على أعقابها زهاء ربع قرن ، وما أورده علي اليزدى عن حروب تميور وسّع علمنـا بهذه البلاد • وهناك تفاصيل أخرى فى كتاب جهان نما

التركي • وهذا السفر وان دوّن فى مطلع المئة الحادية عشرة (السابعة عشرة) ، حيث كانت الدولة العثمانية قد وطدت أركانها فى آسية الصغرى منذ عهد بعيد ، فانه ذكر أهم ما خلّفه سلاطين آل سلجوق من آثار •

وقبل ان نصف الامارات العشر التركمانية ، وقد نوهنا باسمائها آنفا ، يحسن بنا ان نذكر شيئا عن المدن التى فى شرقي قرامان ، وهى التى قد يعينها المجرى الاسفل لنهر هلس (قزل ايرماق عند الترك) ويكملها خط يتجه جنوبا الى جيحان • كانت آسية الصغرى فى المئة الثامنة (الرابعة عشرة) مما يلى شرق هذا الحد من مملكة الايلخانيين ، وهم الامراء المغول الذين تولوا حكم العراق وفارس • وكانوا يولون عمالهم على هذه البقاع لينشروا السلام بين قبائل التركمان البدوية الصغيرة التى حلت فى هذه البلاد بعد الفتح المغولى العظيم • وكانت أهم المدن فى شرق حدود قرامان : قيصرية (وتكتب أيضا قيسارية وهى Caesarea Mazaka فى القباذق) وقد كانت فى زمن بنى سلجوق ثانية مدن الروم ، وعدّها القزوينى قاعدة ملكهم • ويُرى فيها فيما يرى من المقامات : جامع (ابى محمد) البطّال ، بطل المهد الاموى • ووصف المستوفى قيصرية بان حولها سورا من حجر بناه السلطان علاء الدين السلجوقى • وكانت مدينة عظيمة محصنة عند لحف جبل ارجاست (Argaeus) • وذكر المستوفى ان ارجاست كان جبلا شامخا لا يفارق الثلج قمته • وينحدر منه أنهار كثيرة • وفى لحفه : دولو (Davlû) • وهو موضع سيأتى ذكره • وفوق قمة الجبل بيعة عظيمة • وفى قيصرية « موضع يقولون انه حبس محمد ابن الحنفية » من ابناء الامام علي • ولما زار ابن بطوطة قيسارية (وقد كتب اسمها بهذا الوجه) « كان بها عسكر اهل العراق » من عساكر السلطان المغولى • وكانت قيصرية فى مطلع المئة التاسعة (الخامسة عشرة) أولى المدن الكبرى التى استولى عليها جيش تيمور فى آسية الصغرى •

وابلستين (ارابيسوس Arabissus) فى شرق قيصرية • وهى من مدن الثغور فى أيام الروم • وقد ذكرت أيضا فى فتوح تيمور • قال المستوفى ان ابلستين مدينة لا كبيرة ولا صغيرة • وذكرها صاحب جهان نما بالتهجئة الحديثة

« البستان »، وكانت قير شهر (وهي جستنيانوبوليس موكيسوس Justinianopolis Mokissus) الروميـــة على نحـو ثمـانين ميـلاً غـرب قيصريـة ، وكـانت ذات شأن ، وكثيرا ما ورد ذكرها في أخبار حروب تيمور . ووصف المستوفي قير شهر بانها مدينة كبيرة ذات مبان جميلة . وعدها صاحب جهان نما من مدن قراماں . وكانت اماصية أو اماسية (Amasia) في عهد السلاجقة من مراكز حكوماتهم . وروى المستوفي ان السلطان علاء الدين قد احدثها . ووصفها ابن بطوطة ، وقد مرّ بها ، بقوله انها « مدينة كبيرة حسنة وهي فسيحة الشوارع والاسواق ذات أنهار وبساتين وعلى أنهارها النواعير تسقى جناتها ودورها . وتُملكها لصاحب العراق . وبقرب منها بلدة سونسى (كتبها جهان نما بصورة صونيسا) » وبها سكنى أولاد ولي الله تعالى ابي العباس احمد الرفاعي ». وفي شمال اماسية : لاذق (Laodicea Pontica) وهي موضع ذو شأن بيد السلاجقة . وكثيرا ما ذكرها ابن بيبى في تاريخه . ووصف المستوفي ميناء سمسون (أو صامصون وهي اميسوس Amysos عند الروم) بأنه مرفأ عظيم للسفن . وبحلول النصف الاخير من المئة الثامنة (الرابعة عشرة) نمت ثروتها بانتقال تجارة سنوب (أو صنوب Sinope) اليها وهي الميناء الذي كان قبلها[1] .

وكانت نيكسار (أو نكسار وهي Neo-Caesarea اليونانية) مدينة جليلة خاضعة للسلاجقة . وكثيرا ما ورد ذكـرها في ابن بيبى . وقد وصفهـا المستوفي بانها مدينة وسطة حولها بساتين تكثر فيها الفواكه . وكانت توقات (وتكتب أيضا دوقاط) في غرب نيكسار على طريق اماسية . وكانت من الحكومات العظيمة التابعة لبني سلجوق . ويليها في الغرب : زيلة وقد ذكرها ابن بيبى ومن جاء بعده من المصنفين . وأحدث السـلطان علاء الدين مدينـة سـواس (Sebastia) على نزل ايرماق (هلس Halys) وقد شيّد أبنيتها الجديدة كلهـا بالحجارة المهندمة . وروى المستوفي ان الموضع كان مشهورا بثياب الصوف التي تحمل

---

(١) القزويني ٢ : ٣٧١ ؛ ابن بطوطة ٢ : ٢٨٧ و ٢٨٩ و ٢٩٢ ؛ ابن بيبى ٢٦ و ٣٠٨ ؛ المستوفي ١٦٢ و ١٦٣ و ١٦٤ و ٢٠٢ ؛ علي اليزدي ٢ : ٢٧٠ و ٤١٦ و ٤١٧ ؛ جهان نما ٥٩٦ و ٦١٥ و ٦٢٠ و ٦٢٢ و ٦٢٣ .

منهـا ، وهى ذات هواء بارد يكثر فيها القطن والقمح ، وتكلم ابن بطوطة على سيواس فقال هى « من بلاد ملك العراق وأعظم ما له بهذا الاقليم من البلاد ، وبها منزل أمرائه وعماله ، مدينة حسنة العمارة واسعة الشوارع أسواقها غاصة بالناس وبها دار مثل المدرسة تسمى دار السيادة » .

ووصف المستوفى الطريق الضارب غربا[٢] من سيواس الى بلاد فارس وهو كما يأتى : مرحلتان الى زاره ، وهى مدينة قليلة الشأن ، ثم مرحلتان الى آق شهر (المدينة البيضاء) وقد تردد ذكرها كثيرا فى أخبار السلاجقة ، وفى شمال غربى آق شهر قره حصار (الحصن الاسود) وقد أكثر ابن بيبى من الاشارة اليه وسماه قره حصار دولة تمييزا لهذا الحصن - الذى أشار اليه أيضا المستوفى - عن حصن آخر بالاسم ذاته ، وسماه جهان نما قره حصار شبين نسبة الى معدن الشب على مقربة منه ، ومن آق شهر يتجه الطريق الى بلاد فارس فيبلغ ارزنجان فى ثلاث مراحل ، ومنها مثل ذلك الى ارزن الروم ، ثم يتجه جنوبا الى خنوس (خوناس كما كتبه ابن بيبى ، وخنس اسمها الحالى) وهو ثلاث مراحل ، ومنها عشر مراحل الى ملاسجرد (منزكرت) وهذه على ثمانى مراحل من ارجيش القائمة على بحيرة وان[٣] .

كانت امارة قرمان أو قرامان ، أكبر الامارات العشر ، وانما سميت بذلك نسبة الى القبيلة التركمانية التى حلت فى هذه الارجاء ، وكانت قاعدتها لارندة وقيل لها قرمان أيضا نسبة الى الامارة ، ويرقى زمن لارندة الى أيام الروم ، وصفها ابن بطوطة ، وقد زارها فى المئة الثامنة (الرابعة عشرة) ، وكتب اسمها بصورة اللارندة فقال « مدينة حسنة كثيرة المياه والبساتين » ، وفى ختام هذا القرن استولت عليها جيوش تيمور ونهبتها ، الا انها استعادت بعد ذلك ازدهارها الاول ، والى جنوب لارندة مدينة ارمناك ، وقد تكلم عليها المستوفى وقال انها كانت فيما مضى مدينة كبيرة ولكنها انحطت فى المئة الثامنة (الرابعة عشرة) فصارت مدينة

---

(٢) الصواب « شرقا » على ما هو واضح (م) .

(٣) ابن بيبى ٢٦ و ٢٩٢ و ٣٠٨ ؛ ابن بطوطة ٢/٤ ، ٢٨٩ ؛ المستوفى ١٦١ و ١٦٣ و ١٦٤ و ١٩٩ ؛ جهان نما ٤٢٤ و ٦٢٢ و ٦٢٣ .

اقليمية . ونوّه بها جهان نما حين ذكره سلفكة وكان العرب يسمونها قبلا سلوقية (Seleucia of Cilicia)، ودخلت هذه المدينة في أيام العثمانيين ضمن الولاية المسماة ايج ايلي ومعناها بالتركية « الارض الداخلة » . ولما كان هذا الوصف لا يتفق هو ووضع الولاية المبحوث عنها ، اذ انها تحاذي الساحل ، ظنّ ان ايج ايلي ليس الا تصحيفا مفتعلا من الاسم اليوناني القديم قليقية Cilicia .

وكانت قونية (Iconium) على ما بيّنا دار ملك السلاجقة . ولكنها في عهد امراء قرامان تضاءل شأنها فصارت مدينة في المرتبة الثانية وروى المستوفي انه كان فيها ايوان عظيم في القصر الذي بناه السلطان قلج ارسلان وهو باني الحصن أيضا . ثم بنى علاء الدين ، أو استحدث ، أسوار المدينة بالحجارة المقدودة وجعل علوها ثلاثين ذراعا واطاف بها خندقا عمقه عشرون ذراعا . وكان محيط الاسوار عشرة آلاف خطوة وفيها اثنا عشر بابا جعل فوقها أبراجا عظيمة . ومدّ الماء الوافر اليها من الجبل القريب منها . واختزنه في صهريج عظيم تعلوه قبة عند أحد أبواب المدينة . ومنه كان يخرج ثلثمئة قناة ونيف توزع الماء بين سائر انحاء المدينة . واشتهرت قونية بساتينها التي يكثر فيها المشمش الاصفر وينمو في مزارعها القطن والقمح .

وذكر المستوفي ، الى ما تقدم ، ان الخراب كان غالبا على قونية في أيامه وان بقي الربض الذي في أسفل الحصن آهلا بالسكان . وكان في المدينة تربة الشاعر الصوفي العظيم جلال الدين الرومي ، وقد مرّ ذكره . ويزورها كثيرون . ورأى ابن بطوطة هذه التربة . وأشاد بقونية فقال انها « مدينة عظيمة حسنة العمارة كثيرة المياه والانهار والبساتين والفواكه وبها المشمش المسمى بقمر الدين ويحمل منها أيضا الى الشام . وشوارعها متسعة جدا وأسواقها بديعة الترتيب وأهل كل صناعة على حدة » . وذكر ابن بيبي في تاريخه عن السلاجقة اسماء ثلاثة من أبواب قونية ، هي : باب سوق الخيل (دروازه اسب بازار) وباب دار الفحص (دروازه جاشني گير) وباب جسر احمد (دروازه پول احمد) .

وقلعة قره حصار التابعة لقونية ، لا تبعد كثيرا عن شرق قونية . وقال

المستوفى ان بهرام شاه قد بناها ، ويليها هرقلة (Heraclea) وهو اسم تحرّف في الازمنة المتأخرة الى اراكلية ، وكثيرا ما تردد ذكرها في جهان نما ، وفي شمال قونيــة : لاديق ســوخته أي لاديق المحــروقة (Laodicea Combusta وهي Katakekaumena اليونانية) وقد أطلق عليها ابن بيبى قرية لاديق تمييزا لهــا عن غـيرها من المدن التي تســمى Laodicea (Ad Lycum, Pontica) وأشار جهان نما الى لوديقية كمبوستة باسم يورغان لاديق وتسمى أيضا لاذقية قرمان[٤] .

وفي شمال ولاية قرمان : انكورة (Angora) (انقيرا Ancyra اليونانية) وقد كتبها البلدانيون العرب القدماء بصورة انقرة والمؤلفون الفـرس والتــرك المحدثون إنكورية[٥] ، وصفها المستوفى بقوله انها مدينة ذات هواء بارد يكثر فيها القمح والقطن والفواكه ، وقد اشتهرت في التاريخ لان فيها تغلب تيمور سنة ٨٠٤ (١٤٠٢) على السلطان بايزيد العثماني وأسره بعد موقعة حامية ، وقوشحصار أو كوج حصار على الحافة الشرقية للبحيرة الملحة الكبرى ، ذكرها المستوفى وقال انها مدينة وسطة ، وقد ورد ذكرها أيضا في جهان نما ، وعلى شيء يسير من شرق الطرف الجنوبي للبحيرة : آقسرا (القصر الابيض) ، بناها السلطان قلج ارسلان الثاني في سنة ٥٦٦ (١١٧١) ، وصفها المستوفى بانها مدينة في ارض كثــيرة الخيرات ، وآقصرا (بحسب تسمية ابن بطوطة لها) « يشقها ثلاثة انهار ، وداخلها بساتين كثيرة وفيها الاشجار ودوالي العنب وتصنع فيها (في المئة الثامنة = الرابعة عشرة) البسط المنسوبة اليها من صوف الغنم لا مثل لها في بلد من البلاد ، ومنها تحمل الى الشام ومصر والعراق » ، وزاد ابن بطوطة على ذلك ، ان اقصرا في أيامه كانت « في طاعة ملك العراق » .

وعلى نحو خمسين ميلا شرق آقسرا : ملنقوبية (ملكوبية Malacopia)

---

(٤) ابن بطوطة ٢ : ٢٨١ و ٢٨٤ ؛ المستوفى ١٦٢ و ١٦٣ ؛ على اليزدي ٢ : ٤٥٨ ؛ جهان نما ٦١١ و ٦١٥ و ٦١٦ ؛ ابن بيبى ٨ و ٩ و ٢٨٧ و ٣٢٤ .

(٥) في معجم البلدان (مادة انقرة) انقرة : هو فيما يلغنى اسم للمدينة المسماة انكورية (م) .

ذكر المستوفى أنها موضع ذو شأن فى المئة الثامنة (الرابعة عشرة) • والى شمال هذه المدينة : قرا حصار أخرى • وصفها المستوفى بانها من أعمال نيكدة • والى شرق هذه المدينة أيضا : دولو (وجاء أسمها فى جهان نما بصورة دوءلو) • وهى على ما بيّنّا تقوم عند لحف جبل ارجاست وقد ورد ذكرها غير مرة فى تاريخ ابن بيبى فى كلامه على قيصرية • ووصف المستوفى دولو بانها مدينة وسطة ، جدد السلطان علاء الدين السلجوقى بناء أسوارها • وفى جنوب ملقوبية : نيكدة (وكتبها ابن بيبى نكيدة) وقد قامت فى موضع طوانة القديمة (تيانة Tyanah) بناها السلطان علاء الدين • وصف المستوفى نيكدة بانها مدينة لا كبيرة ولا صغيرة • وقد مرّ ابن بطوطة بمدينة نكدة (على ما سماها به) وقال ان بعضها قد خرّب وانها من بلاد ملك العراق ويشقها النهر المعروف بالنهر الاسود وعليه ثلاث قناطر ، وعليه النواعير ومنها تسقى البساتين والفواكه بها كثيرة ، وفى جنـوب نكدة : لؤلؤة (لولون Loulon) وكثيرا ما ذكرها ابن بيبى • وقد بيّنّا انها قلعة عظيمة فى الطرف الشمالى من درب أبواب قليقية • وفى المئة الثامنة (الرابعة عشرة) وصف المستوفى لؤلؤة فقال هى مدينة صغيرة حولها أرض خصبة وهواؤها بارد وفيها مواطن للصيد مشهورة[٦] •

والظاهر ان أهم المدن فى بلاد امير تكه : مدينتا العلايا وانطالية وهما ميناءان مشهوران • فالاولى ، على ما بيّنّا ، اسسها السلطان علاء الدين السلجوقى فوق كوراكسيوم (Coracesium) وقد نزلها ابن بطوطة حين جاء من الشام سنة ٧٣٣ (١٣٣٣) فوصف العلايا بانها مدينة كبيرة على ساحل البحر ولها تجارة مع الاسكندرية ولها قلعة صعد اليها ابن بطوطة ووصفها بقوله « لها قلعة باعلاها عجيبة منيعة بناها السلطان المعظم علاء الدين » • وكانت العلايا فى أيامه على ما يظهر من بلاد سلطان قرمان •

أما أنطالية ، وهى الميناء الثانى ، فكانت على نحو مئة ميل من غرب العلايا عند رأس الخليج • وقد اشتهرت بان الصليبين كانوا يبحرون منها الى فلسطين •

---

(٦) ابن بيبى ٥ و ٣٤ و ٤٤ و ٢٧٩ و ٣١٤ ؛ ابن بطوطه ٢ . ٢٨٥ و ٢٨٦ ؛ المستوفى ١٦٢ و ١٦٣ و ١٦٤ و ٢٠٢ ؛ ياقوت ٤ ٦٣٥ ؛ على اليزدى ٢ . ٤٢٩ ؛ جهان نما ٦١٧ و ٦٢٠ •

وهى بلد كبير عده ياقوت « من مشاهير بلاد الروم وهى حصن على شط البحر واسع الرستاق كثير الاهل » وفيها بنى السلطان قلج ارسلان السلجوقى قصرا له فوق نشز من الارض يطل على البحر . ووجد فيها ابن بطوطة أيضا ان « كل فرقة من سكانه منفردة بأنفسها عن الفرقة الاخرى : فتجار النصارى ساكنون منها بالموضع المعروف بالميناء وعليهم سور . واليهود فى موضع آخر وعليهم سور . وسائر الناس من المسلمين يسكنون المدينة العظمى وبها مسجد جامع ومدرسة » . وانطالية ، وهى التى ورد اسمها فى أخبار الحروب الصليبية بصورة ستالية (Satalia) أو اتالية (Attaleia) ، قد جاء ذكرها مرارا فى حروب تيمور لنك باسم عدالية . وفى غربها ، على ما ذكر علي اليزدى ، استانوس . وهى مدينة ذكرت فى جهان نما بصورة استناز[٧] .

وفى شمال تكه كان لامير امارة حميد البلاد التى حول البحيرات الاربع : اكريدور وبردور وبقشهر وآقشهر . وكانت دار المملكة فى أيام السلاجقة ، على ما جاء فى ابن بيبى ، فى مدينة برغلو وهى تطابق الوبرلو الحديثة على ما يظهر (فى غرب اكريدور) وهى سوزوبوليس (Sozopolis) أو ابولونية (Apollonia) عند الروم . وانطاكية (Antioch of Pisidia) ، وكثيرا ما ذكرتها التواريخ الاسلامية القديمة ، قد اضحى اسمها فى العهد التركى يلاواج . وكانت فى البربة بين بحيرتى أكريدور وآقشهر . والظاهر ان أهم مدن هذه الولاية فى المئة الثامنة (الرابعة عشرة) ، على ما جاء فى المستوفى ، اكريدور وهى مدينة بروستنه Prostanna القديمة) فى جنوب بحيرة اكريدور . ووصف ابن بطوطة مدينة اكريدور بقوله « مدينة عظيمة كثيرة العمارة حسنة الاسواق ذات أنهار وأشجار وبساتين (ثم قال :) ولها بحيرة عذبة الماء يسافر المركب فيها الى آقشهر وبقشهر وغيرهما من البلاد والقرى » التى على شطئان هاتين البحيرتين .

وكانت مدينة بقشهر أو بى شهر (وهى كرلية Karallia عند الروم)

---

(٧) ورد فى العهد الجديد من الكتاب المقدس ذكر اتالية فى سفر الاعمال ١٤ : ٢٥ . ياقوت ١ : ٣٨٨ ؛ ابن بطوطة ٢ : ٢٥٧ و ٢٥٨ ؛ جهان نما ٦١١ و ٦٣٨ و ٦٣٩ ؛ علي اليزدى ٢ : ٤٤٧ و ٤٤٦ .

عند طرف بحيرتها وقد بناها السلطان علاء الدين السلجوقي على ما جاء في جهان نما . ولها سور من حجر فيه بابان وفيها مسجد جامع وحمامات حسنة وسوقها في موضع يسمى آلرغة . والى غرب اكريدور مدينة بردور على بحيرة بردور وهي بلدة صغيرة . قال ابن بطوطة انها كثيرة البساتين والانهار ولها قلعة في رأس جبل شاهق . وجاء في جهان نما ان اسبارطة وهي في جنوب اكريدور كانت قاعدة حميد في الازمنة المتأخرة . وكتب ابن بطوطة هذا الاسم بصورة سبرتا . وقال انها « بلدة حسنة العمارة كثيرة البساتين والانهار لها قلعة في جبل شامخ » . وتمثل هذه المدينة مدينة برس (Baris) البزنطية وتعرف اليوم باسم سبارتا[٨] .

أما بحيرة آقشهر فهي التي سماها ابن خرداذبه (أنظر الصفحة ١٦٧ أعلاه) الباسليون وقد عرفها الروم بحيرة الاربعين شهيدا . والى غربها الحصن العظيم قرا حصار . وكثيرا ما جاء اسمه مرتبطا بآقشهر في حروب تيمور لنك . وفي آقشهر ، على ما ذكر علي اليزدي ، كان السلطان بايزيد ايلدرم العثماني المنكود الحظ قد مات كمدا في سنة ٨٠٥ (١٤٠٣) وكان تيمور لنك قد قهره في انقرة . وذكر المستوفي هاتين المدينتين : آقشهر وقرا حصار في جملة ما عرف من أمكنة بهذين الاسمين . وقرا حصار هذه تعرف اليوم بافيون قرەحصار لكثرة ما يزرع فيها من الافيون وهي تعين موضع مدينة بريمنسوس (Prymnessos) أو اكروينس (Akroenos) اليونانية . وتؤكد الروايات المحلية ان البطال ، وهو بطل عهد بني امية الاول ، في حروبهم مع الروم قد قتل في وقعة جرت بالقرب منها . على ان الطبري ، وهو أقدم مرجع لدينا ، روى في حوادث سنة ١٢٢ (٧٤٠) ان عبدالله البطال « قتل في أرض الروم » ولم يشر الى موضع مقتله[٩] .

(٨) سبرتا أو اسبارته هو تصحيف الاسم اليوناني (eis Bápios) انظر الحاشية في ص ١٩٠ عن ازميد وازنيق (نيقوميدية ونيقية Nicaea , Nicomedia) .

(٩) ابن بيبى ٥ و ٢١٢ و ٢٥١ و ٢٨٣ ؛ ابن بطوطة ٢ : ٢٦٥ و ٢٦٦ ؛ المستوفي ١٦٢ و ١٦٣ ١٦٤ ؛ جهان نما ٦١٨ و ٦٣٩ و ٦٤٠ و ٦٤١ ؛ علي اليزدي ٢ : ٤٥٧ و ٤٥٨ و ٤٨٩ ، و ٤٩٢ رمسي HGAM ٨٧ و ١٣٩ و ٣٩٦ و ٤٠١ و ٤٠٦ ؛ الطبري ٢ : ١٧١٦ . وورد في جهان نما (ص ٦٤٢) ان قبر البطال كان قائما في المئة الحادية عشرة (السابعة عشرة) في سيدي غازي على نيف وخمسين ميلا شمال قراحصار وشرق كوتاهية . أما اليوم فانه

وفى شمال امارة حميد وغربها ، البلاد التى كان يحكمها أمير كرميان أو جرميان وكانت دار حكومته كوتاهية (كوتيوم Cotyaeum) • وكتب المؤرخون العرب هذا الاسم ، على ما بيّنا ، قطيّة ولا مراء ان المدينة البزنطية قد خربت منذ زمن بعيد • وجاء فى جهان نما ان الذى بنى كوتاهية مدينة القرون الوسطى هو سلطان جرميان • وأشار ابن بطوطة الى ان فيها طائفة من قطاع الطرق • وفى ختام المئة الثامنة (الرابعة عشرة) ذكر هذا الموضع كثيرا فى حروب تيمورلنك وكان قد جعله مقر قيادته بعض الوقت • وفى شرق كوتاهية بمئة ميل قرب روافد سنكاريوس (Sangarius) العليا حصن عظيم يقال له سودي حصار اتخذه تيمور أيضا مركزا لقيادته وقتا ما • ومعنى اسمه فى التركية « الحصن المدبب » ، (وكتبها القزوينى بصورة سبرى حصار) ، وكان فوق موضع بسينوس (Pessinus) الرومانى الذى سمى بعدئذ جستنيانوبوليس پاليا (Justinianopolis Palia) • وروى القزوينى انه كان فيه فى المئة السابعة (الثالثة عشرة) بيعة مشهورة تسمى بيعة كمناتوس • « وان الدابة اذا احتبس ماؤها يطاف بها حول هذه البيعة سبعا ينفتح ماؤها » •

والى جنوب سورى حصار : مدينة عمورية (Amorion وهى عند أستار قلعة الحديثة) وقد تكلمنا عليها قبلا (ص ١٧٠) • وفى المئة الثامنة (الرابعة عشرة) أشار المستوفى اليها بقوله انها موضع ذو شأن وان عامة الناس كانوا يسمونها ، لسبب مبهم ، أنكورية أو انكوره (Angora). وكرّر جهان نما هذه التسمية الغريبة المغلوط فيها وقال ان انكورية هى التى يقال لها عمورية • وفى جنوب شرقى جرميان ، مدينة لاذق (Laodicea ad Lycum) التى سمّاها الاتراك دنزلو (المياه الوافرة) لكثرة انهارها ويعرف هذا الموضع اليوم باسم اسكى حصار (القلعة القديمة) وقد وصفها ابن بطوطة فقال « هى من أبدع المدن واضخمها

يرى فى مير شهر • اما انطاكية بسيدية (Antioch of Pisidia) فيظهر ان التواريخ العربية القديمة تميل فى كل وقت الى خلطها بمواضع اخرى بالاسم ذاته ولا سيما بانطاكية الشام • وقد أشار اليعقوبى فى تاريخه (١ • ١٧٧) الى انطاكية المحترقة التى تفسر على ما نظهر معنى انطاكية بسيدية • وتكلم المؤلف نفسه (٢ • ٢٨٥) على غزوة وقعت فى سنة ٤٩ (٦٦٩) • ثم ذكر « انطاكية السوداء » ولعله أراد بهذا الاسم Antioch of Isuria انطاكية ايزورية •

فيها سبعة من المساجد لاقامة الجمعة وأسواقها حسان ، وتصنع بها ثياب قطن معلمة بالذهب لا مثل لها وأكثر الصناع بها نساء الروم » ، وقد ذكر جهان نما ان اسمها القديم : لاذقية[١٠] .

وفي امارة أمير المتشا ، زار ابن بطوطة المدن المتجاورة الثلاث : مغـلة وميلاس وبرجين وكان مقام الامير في مغلة (مبلة Mobolla القديمة) وهي دار حكمه على ما جاء في جهان نما ، وقد أشار ابن بطوطة الى انها مدينة حسنة ، وكانت ميلاس (Mylasa أو Melisos) أيضا مدينـة من أحسن بلاد الروم واضخمها ، كثيرة الفواكه والبساتين والمياه ، وكانت برجين (Bergylia وتعرف اليوم اسَّارلك) على بضعة أميال من ميلاس « وهي جديدة على تل هنالك بها العمارات الحسنات والمساجد » ، وزار ابن بطوطة في القسم الشرقي من المتشا مدينة قل حصار وقد ذكرها المستوفي باسم « گل » وقال فيها انها مدينة وسطة ، وأشير اليها أيضا في حروب تيمور ، ووصفها ابن بطوطة فقال « بها المياه من كل جانب قد نبت فيها القصب فلا طريق لها الا طريق كالجسر مهيأ ما بين القصب والمياه ، والمدينة على تل في وسط الماء منعة لا يُقدر عليها » ، وكان في شمال المتشا حصن طواس ويسمى في وقتنا هذا دوناس (Donas) وهو على مسيرة يوم ونصف من لاذق (Laodicea ad Lycum). وصف ابن بطوطة طواس بانه حصن كبير في اسفله ربض ، ويقال ان صُهيبا الصحابي من أهل هـذا الحصن[١١] .

والى شمال المتشا بلاد امير آيدين وكانت قاعدتها تيرة (Teira) ، وحكى ابن بطوطة وقد زار امير آيدين فيها انها « مدينة حسنة ذات انهار وبساتين » ، وقد مرّ أيضا بمدينة بركى (برگيون Pyrgion) على مرحلة من شمال تيرة ، وقد أطرى أشجارها الباسقة ، وتقوم مدينـة آيدين أو گزل حصار في موضع

---

(١٠) القزويني ٢ : ٣٥٩ ؛ ابن بطوطة ٢ : ٢٧٠ و ٢٧١ و ٤٥٧ ؛ المستوفي ١٦٢ ؛ علي اليزدي ٢ - ٤٤٨ و ٤٤٩ ؛ جهان نما ٦٣١ و ٦٣٢ و ٦٣٤ و ٦٤٣ .

(١١) ابن بطوطة ٢ : ٢٦٩ و ٢٧٧ و ٢٧٨ و ٢٨٠ ؛ المستوفي ١٦٣ ؛ جهان نما ٦٣٨ ؛ علي اليزدي ٢ : ٤٤٨ .

تراليس (Tralleis) البزنطية وكانت مدينة قليلة الشأن، وكانت أفسس على الساحل، وقد عرفها البلدانيون العرب باسم افسوس أو أبسوس . واشتهرت لان فيها كهف اصحاب الكهف الذين جاء ذكرهم في القرآن (السورة ١٨ ، الآية ٨) . وقد عرفت هذه المدينة بعد ذلك باسم ايا سلوق (وتكتب أيضا اياثلوخ أو اياسليغ) وهو تصحيف الاسم اليونانى (Agiou Theologou) وسميت بذلك لان فيها كنيسة كبيرة للقديس يوحنا اللاهوتى بناها الملك يسطنياس . وقد زار ابن بطوطة هذه الكنيسة حين كان هناك سنة ٧٣٣ (١٣٣٣) ووصفها بقوله « مبنية بالحجارة الضخمة ويكون طول الحجر منها عشر أذرع فما دونها ، منحوتة ابدع نحت . والمسجد الجامع بهذه المدينة من أبدع مساجد الدنيا لا نظير له فى الحسن وكان كنيسة للروم . فلما فتحت هذه المدينة جعلها المسلمون مسجدا جامعا ، وحيطانه من الرخام الملون ، وفرشه الرخام الابيض ، وهو مسقف بالرصاص ، وفيه احدى عشرة قبّة منوعة . وزاد ابن بطوطة على ما تقدم انه كان لأياسلوق فى أيامه خمسة عشر بابا ، ونهرها يشقها الى البحر . . وعن جانبي النهر الاشجار المختلفة الاجناس ودوالي العنب ومعرشات الياسمين » .

وكان فى آيدين مساء عظيم آخر هو سمرنة (Smyrna) وسمّاه الترك أزمير أو يزمير وهى التى ظفر بها تيمور من الفرسان الاسبانية فى مطلع المئة التاسعة (الخامسة عشرة) . وصفها ابن بطوطة ، وكان فيها سنة ٧٣٣ (١٣٣٣) ، فقال « معظمها خراب ولها قلعة متصلة بأعلاها » . وزاد على ذلك ان امير آيدين « كان كثير الجهاد ، له احفان غزوية[١٢] يضرب بها على مدن نصرانية فى سواحل البحر قرب ثغر آيدين فيسبي ويغنم » . ومن هذه المدن : فوجة « أو فوچة وهى فوجية Phocia) على ساحل امارة صاروخان ، فقد ذكرت بعد ذلك فى أيام تيمور لنك بانها حصن اسلامى . وذكر ابن بطوطة فى رحلته انها كانت حينئذ فى ايدى الكفار ، والمراد بهم الجنويين (أهل جنوة) . وكانت قاعدة صاروخان مدينة مغنيسية (مغنيسيا وهى Magnesia) قال ابن بطوطة فيها « هى مدينة كبيرة حسنة فى سفح جبل وبسيطها كثير الانهار والعيون والبساتين والفواكه » .

(١٢) الاحفان ضرب من السفن (م) .

وفيها يقيم أمير صاروخان • وفي حروب تيمور اطلق على البلاد التى حول مغنى سياه (بحسب تهجئة ذلك الزمن) اسم سروهان ايلي[١٣] •

وفي شمال صاروخان بلاد امير قراصي (أو قره سي) وله داران للحكم في بلي كسري وبرغمة (برگامس Pergamus) • ووصف ابن بطوطة برغمة وقد زارها في سنة ٧٣٣ (١٣٣٣) بقوله انها « مدينة خربة لها قلعة عظيمة منيعة بأعلى جبل »• اما بلي كسري ، وقد زارها أيضا ، فكانت « مدينة حسنة كثير العمارة مليحة الاسواق ولا جامع لها بجمع فيه ، وان كان سلطان قراصي دمور (أو تيمور) خان يعيش فيها • وأبوه هو الذى بنى بلي كسري » • وكثر ذكر هذه المدينة فيما بعد أيام حروب تيمور •

ومن بلي كسري سار ابن بطوطة الى برصى وقد كانت في أيامه قاعدة الدولة العثمانية حين أخذ نجمها يتألق وسطوتها تقوى وبدأت تبتلع الامارات التركمانية الأخرى • وكانت برصى أو بروســة (Prusa) في ذلك الزمن « مدينة كبيرة عظيمة حسنة الاسواق فسيحة الشوارع تحفّها البساتين من جميع جهاتها والعيون الجارية • وبخارجها نهر ماء شديد الحرارة يصب في بركة عظيمة وقد بني عليها بيتان احدهما للرجال والآخر للنساء • والمرضى يستشفون بهذه الحمة ويأتون اليها من أقاصي البلاد » • وقد زار ابن بطوطة سلطانها العثماني اورخان (وهو جد بايزيد ايلدرم ، وقد مرت الاشارة الى تغلّب تيمور عليه في مطلع القرن التالي) • وفي عاصمته من المباني قبر ابيه السلطان عثمان بمسجدها • وكان مسجدها كنيسة للنصارى •

وكانت ميخاليج (ميلتوبوليس Miletopolis ، وقد سمّاها الروم Michaelitze) على نحو خمسين ميلا غرب برصى • وقد ورد ذكرها كثيرا في حروب تيمور وفي جهان نما • على ان أهم بلاد العثمانيين سنة ٧٣٣ (١٣٣٣)

(١٢) ابن بطوطة ٢ : ٢٩٥ و ٣٠٧ و ٣٠٨ و ٣٠٩ و ٣١١ ؛ على اليزدى ٢ • ٤٦٦ و ٤٦٨ و ٤٧٠ و ٤٨٠ ؛ جهان نما ٦٣٤ و ٦٣٦ و ٦٣٧ ؛ رمسى HGAM ١١٠ و ٢٢٨ ؛ ياقوت ١ : ٩١ ؛ ٢ • ٨٠٦ •

لقد تكلمت على حكاية اصحاب الكهف في افسوس في كتابي Palestine under the Moslems ص ٢٧٤ •

هى نيقية التى أخذها السلطان اورخان من الروم وكان البلدانيون العرب الاولون يسمون Nicaea : نيقية ، وعرفها الترك باسم يزنيق أو ازنيق . ووصف ابن بطوطة بحيرة يزنيك فقال انها « تنبت القصب » . وفى طرفها الشرقى مدينة يزنيك « لا يستطاع دخولها الا على طريق واحد مثل الجسر لا يسلك عليها الا فارس واحد » . والمدينة على قوله « خاوية على عروشها لا يسكن بها الا اناس قليلون وبداخل المدينة البساتين . وعليها أسوار أربعة بين كل سورين خندق وفيه الماء ويدخل اليها على جسور خشب » . والى شمال نيقية : نيقوميدية (Nicomedia) وقد عرفها البلدانيون العرب الاولون باسم نقمودية ، وسماها الترك ازنكميد . وبهذه الصورة ورد اسمها فى جهان نما ثم اختصر الى ازميد وهو ما تعرف به اليوم ولم يصف هذه المدينة ابن بطوطة ولا غيره من المصنفين(١٤) .

وكانت امارة قزل احمد لى تشرف على ساحل البحر الاسود مما يجاور البوسفور الى سينوب . وأول مدينة كبيرة بلغها ابن بطوطة فى رحلته من يزنيق بعد عبوره نهر سنكاريوس الذى يسميه الترك سَقَرْي كانت : مُطرني أو مدرني (مدرلو الحديثة وهى Modrene القديمة) وقد ذكر انها بلدة كبيرة . وجاء ذكرها فى جهان نما أيضا . ووصف ابن بطوطة مدينة بولى (كلوديوبوليس Claudiopolis) وهى فى شمال شرقى مطرني فقال : « بالقرب منها واد ليس بالصغير . وكانت كردي بولي على مرحلة من شرقيها « وهى مدينة كبيرة فى بسيط من الارض حسنة متسعة الشوارع والاسواق وهى محلات متفرقة كل محلة تسكنها طائفة لا يخالطهم غيرهم » . وكانت كردى بولى فى سنة ٧٣٣ (١٣٣٣) مقام الامير ، والظاهر انها كانت حينذاك أولى مدن قزل احمد لى .

---

(١٤) ازنكميد تصحيف للاسم البزنطى eis Nikomedeian وازنيق تصحيف eis Nikaian ابن بطوطة ٢ : ٣١٥ و ٣١٦ و ٣١٧ و ٣٢٢ ؛ على اليزدى ٢ : ٤٦٦ ؛ جهان نما ٦٣١ و ٦٥٦ و ٦٦١ و ٦٦٢ ؛ رمسى HGAM ١٧٩ .

والصورة التى وصف بها ابن بطوطة السلطان اورخان مؤسس الفرقة المشهورة باليينيجرية غريبة جدا فقد قال ابن بطوطة « هذا السلطان أكبر ملوك التركمان وأكثرهم مالا وبلادا وعسكرا له من الحصون ما يقارب مئة حصن وهو فى أكثر اوقاته لا يزال يطوف عليها ويقيم بكل حصن منها اياما . ويقال انه لم يقم قط شهرا كاملا ببلد ويقاتل الكفار ويحاصرهم » .

وفى القسم الشرقى من الولاية : قسطمونية (أو قسطمونى وأصلها قصطمون) وقد ذكر المستوفى انها مدينة وسطة . وذكرها ابن بطوطة فقال انها « من أعظم المدن » التى زارها فى آسية الصغرى . « وهى كثيرة الخيرات رخيصة الاسعار » . وفى شمال شرقها ميناء صنوب الكبير (سينوب وهو سينوپ Sinope). ومنها ابحر الى القرم . وقد علمنا من وصفه لصنوب انه « يحيط بها البحر من جميع جهاتها الا واحدة وهى جهة الشرق . ولها هنالك باب واحد ، وهى مدينة حافلة جمعت بين التحصين والتحسين . والمسجد الجامع بمدينة صنوب من احسن المساجد فيه قبة تقلّها ارجل من الرخام . وبها قبر الولي الصالح بلال الحبشى » اول من أذن للصلاة فى الاسلام .

وعلى خمسين ميلاً جنوب قسطمونى : المدينة البزنطية كَنكَرة جرمانيكوبوليس (Gangra Germanicopolis) وقد سمّاها الترك كانقرى . وورد اسمها فى التواريخ العربية القديمة بصورة خنجرة . وغزا المسلمون فى أيام الخليفة هشام الاموي بلاد الروم وتوغلوا فيها حتى بلغوا مدينة خنجرة . وقال القزوينى ، وقد أورد الاسم بصورة غنجرة : « بها نهر يسمى المقلوب لانه آخذ من الجنوب الى الشمال بخلاف سائر الانهار » . وزاد على ذلك ان فى سنة ٤٤٢ (١٠٥٠) « وقعت زلزلة هائلة سقط منها أبنية كثيرة ، ولم يبق لها أثر[١٥] . وللاحاطة فى ذكر مدن امارة قزل أحمد لى ، يحسن بنا ان نذكر ما سماه صاحب جهان نما بـ « كوج حصار » وهى فى نحو نصف الطريق بين قسطمونى وكانقرى . ولعلها هى قوشحصار نفسها عند المستوفى ، وقد مرت الاشارة اليها (ص ١٨٢) . ويعنيها هناك المدينة التى بالاسم ذاته على البحيرة الملحة العظمى[١٦] .

فاذا استثنينا الطريق من طرسوس الى القسطنطينية (وجاء وصفه فى ص ١٦٦) والطريق من شرق سيواس الى تبريز (ووصف فى ص ١٨٠) ألفينا ان ما

---

(١٥) مافى القزوينى (ص ٣٦٨) : « سقط منها أبنية كثيرة وحسف هناك حصن وكنيسة حتى لم يبق لها أثر » . (م) .

(١٦) المستوفى ١٦٣ و ١٦٤ ؛ ابن بطوطة ٢ . ٣٢٥ و ٣٣٢ و ٣٣٦ و ٣٣٨ و ٣٤١ و ٣٤٨ ؛ جهان نما ٦٤٥ و ٦٤٦ و ٦٤٨ و ٦٤٩ و ٦٥١ و ٦٥٢ ؛ ياقوت ٢ . ٤٧٥ ؛ القزوينى ٢ : ٣٦٨ ؛ الطبرى ٢ . ١٢٣٦ .

دوّنه اصحاب كتب المسالك عما يخترق آسية الصغرى من طرق لا طائل تحته . على ان جهان نما[١٧] ذكر عددا من المسالك التى تتفرع من سبواس وذكر اسماء ما عليها من قرى ومنازل .

وما زال كثير منها يرى فى الخارطة . ومما يؤسف عليه ان ما بينها من مسافات لم تذكر فى معظم الاحوال . ومن ثم فان ما يمكن استخلاصه من وصف هذه الطرق قليل الجدوى .

(١٧) جهان نما ٦٢٧ و ٦٢٨ .